المصـــــدر : الاقتصادية

التـــاريخ : 11-10-2005 العـــدد : 4383

الصفحـات : 12 المسلسل : 47

أبو متعب.. مَلِك القلوب

سعد الصويان

sowayan_media@yahoo.com

من يقرأ التصريحات التي يدلي بها مسؤولو وزارة الخارجية وبعض السفراء المعتمدين لوسائل الاعلام الأجنبية والكلمات التي يلقونها في المحافل الدولية والمناسبات العالمية لا يساوره أدنى شك بأن وتيرة الاصلاح سوف تتسارع حينما تتهيأ الغالبية من المواطنين لتقبل هذه الإصلاحات نفسيا.

كاتب سعودي

بعد وفاة المغفور له جلالة الملك فهد بن عبد العزيز أحب العالم وقادة العالم بالطريقة الهادئة جدا والطبيعية جدا التي تم بها انتقال السلطة إلى خلفه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، حفظه الله. وتولى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولاية العهد. كانت فترة حكم الملك فهد بن عبد العزيز مليئة بالانجازات الضخمة والعطاءات العظيمة على المستوى المحلي والدولي. وكانت له مواقفه المشرفة من مختلف القضايا العربية والعالمية. وحيث إن المغفور له جلالة الملك خالد بمجرد توليه عرش البلاد أصدر أمرا فوض بموجبه ولي عهده الأمير فهد إدارة شؤون الدولة فإن بداية اضطلاع الملك فهد شخصيا بمسؤولية إدارة دفة البلاد ورسم سياساتها الداخلية والخارجية بدأت فعليا منذ تولي الملك خالد للحكم عام 1975. وبعد عهد الملك خالد ومن بعده عهد الملك فهد مرحلة مهمة ومفصلية في تاريخ المملكة لأنها مرحلة الطفرة التي تحققت فيها أضخم الانجازات التنموية ومشاريع البنية التحتية وشيدت فيها البلاد تحولات جذرية طالت كل مناحي الحياة وحولت أنظار العالم كله نحو المملكة، مما كثف علاقاتها مع العالم الخارجي وعزز مشاركاتها في المؤتمرات العالمية واللقاءات الدولية.

الملك فهد من دهاة العرب والملك عبد الله من حكمائها. لو أردنا تشخيص الملك عبد الله بثلاث كلمات لقلنا عنه إنه حكيم وحليم وعادل. وتنازعني نفسي إلى استبدال الكلمة الأخيرة بأخرى هي رحيم، لأنها تتسق وزنا وقافية مع سابقتيها وانما لأن هذا هو الانطباع الذي يخرج به كل من سمعه ورآه. ابتسامته الصافية الصادقة النقية تنزع منك الرهبة وتفرش هيبته في النفس ومحبته في القلب، تجعلك تحس أنك قريب منه وأنه قريب منك وتبعث فيك الثقة والإحساس بالأمان. حتى رقصته في العرضة تعكس إنسانيته وبساطته وتؤكد أصالة انتمائه وتعزز رصيده الشعبي. وحينما تنازعني نفسي بين صفة العدل وصفة الرحمة في تشخيصي للملك عبد الله فإنني أتحدث من واقع تجارب وأحداث أعرفها حق المعرفة وإن كانت لا تمسني شخصيا بصفة مباشرة، فهناك أصدقاء لي وأقرباء يدعون له قياما وقعودا لا لأنه تصدق عليهم ولا أعطاهم منحا ولا مكافآت وإنما فعل ما هو خير وأبقى، رفع عنهم الحيف ودفع عنهم الظلم وأحق حقوقهم وأزال عنهم كربة القهر وغربة التهميش. ثم أنت تراه حينما يتحدث عن الارهاب يتفطر قلبه ويعصره الأسى شفقة على شباب الوطن المغرر بهم من الذين سدروا في غيهم وهاموا في متاهات الضلال ونفق الارهاب المظلم والانحراف الجارف. لكنه أيضا يعلم علم اليقين أن الحفاظ على أمن الوطن وسلامة المواطنين مسؤولية جسيمة وأمانة في عنقه لن يفرط فيها. هذه بعض صفاته ملكا، أما بعض صفاته إنسانا فمعروف عنه النبل في التعامل مع الآخرين والتواضع الجم والبعد عن الصلف وحب الخير. لا أحد يذكر إطلاقا أنه تلفظ بكلام جارح أو أساء التعامل بأي طريقة مع أي من المسؤولين الذين يعملون معه أو المواطنين العاديين الذين يتقاطرون يوميا الى مكتبه. يجلس لاستقبال جموع غفيرة من العجزة وكبار السن من عامة الناس للاستماع شخصيا لشكاواهم وتظلماتهم وتراه يمسك بكل عطف وحنو يد الواحد منهم يساعده في القيام والقعود. هذه هي شخصية الملك عبد الله دون رتوش. وهذه طبيعته التي جبل عليها. وليس فيما يفعله رياء ولا تصنعا ولا جريا وراء الشعبية الزائفة.

حينما تولى الملك عبد الله سدة الحكم قام بثلاثة أعمال لا تزال حديث المجالس حتى يومنا هذا والجميع يذكرها له بالخير. فقد ألغى تقبيل اليد والكتف لأنه لا يرى واجب الخضوع والخنوع إلا للبارئ عز وجل. ثم أطلق سراح سجناء الرأي ورأى الناس في ذلك رمزا لتدشين عهد جديد من التسامح في التعامل بين السلطة ومن يخالفها الرأي إن لم يشكل خطرا على أمن الوطن ومنجزاته. ثم أصدر أمرا بعلاوة ورواتب موظفي الدولة ورأى القطاع في ذلك سنة حسنة فاقتدى بها. كما يقدر له الجميع الجهود الاستثنائية التي بذلها لتعجيل انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية لما في ذلك من انعكاسات إيجابية ليس فقط بالنسبة للاقتصاد وانما على مختلف القطاعات الأخرى ومجمل المناخ العام. اجتماعيا وسياسيا. وقد بدأت تظهر البوادر الأولى لهذا التحسن المأمول في مجال القضاء والمرافعات. ولا ننسى إعادة فتح باب الابتعاث للطلاب إلى الخارج بعد أن كان موصدا لعدة سنوات ويستعد الآلاف من طلابنا الآن لحزم حقائبهم والسفر للدراسة في الخارج والتزود بسلاح العلم والمعرفة الذي نحن في أمس الحاجة إليه للنهوض بهذا البلد. خصوصا وقد فشلت مؤسساتنا التعليمية مع الأسف في تحمل مسؤوليتها وأداء رسالتها وتطوير مناهجها. وليس عندي أدنى شك أن في جعبة الملك عبد الله العديد من المفاجآت السارة التي ستتوالى في المستقبل القريب، لكن مسائل التطوير والتغيير تحتاج إلى شيء من التريث للتخطيط والدراسة وتهيئة البيئة والمناخ العام والظروف الملائمة والكوادر اللازمة للتنفيذ. وينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن جزءا من الاشكالية التي تعاني منها الدولة فيما يخص

المصـــــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 11-10-2005 العـــدد : 4383
الصفحـات : 12 المسلسل : 47

التطوير والتغيير لا يتحمله الجهاز الحاكم بقدر ما هو يكمن في تهيئة مختلف قطاعات الشعب وأصحاب المصالح المختلفة والمتنافرة أحيانا لتقبل هذه التغييرات والتعامل معها بإيجابية وفاعلية.

من يقرأ التصريحات التي يدلي بها مسؤولو وزارة الخارجية وبعض السفراء المعتمدين لوسائل الإعلام الأجنبية والكلمات التي يلقونها في المحافل الدولية والمناسبات العالمية لا يساوره أدنى شك بأن وتيرة الإصلاح سوف تتسارع حينما تتهيأ الغالبية من المواطنين لتقبل هذه الإصلاحات نفسيا واجتماعيا، خصوصا وأن البعض منها يطول تابوهات اجتماعية مثل قضايا المرأة ومناهج التعليم والأجهزة القضائية والمؤسسة الدينية وغيرها. كما أن المشاركة السياسية من القضايا المطروحة ولكن بتدرج وحذر توخيا للمصلحة وحتى لا تأتي بعكس ما هو مرجو منها وحتى يتعود عليها الناس ويتعاملون معها تعاملا واعيا ورشيدا. وقبل الحديث عن توسيع المشاركة السياسية ينبغي الحديث أولا عن توسيع المشاركة في الرأي عن طريق تشريع قنوات الاتصال والأخذ والعطاء بين السلطة والشعب. وتعزيز آليات منتدى الحوار الوطني وتوسيع قاعدته الجماهيرية وتكثيف لقاءاته وتنويع المواضيع المطروحة للمناقشة. وذلك حتى نصل إلى ما يشبه الإجماع الشعبي أو الاتفاق حول أولويات التغيير المطلوب وتحديد مراحله. وكذلك حتى نتمرن على التسامح وعلى اللين والرفق في تعاملنا مع بعضنا البعض وعلى الابتعاد عن التشنج والحدة المستفزة في طروحاتنا وحواراتنا وعدم شخصنة الاختلافات في الرأي. كما أن المشاركة السياسية لن تكون ناجحة ولن تؤتي ثمارها ما لم يتم تطوير القواعد والأسس التي تقوم عليها وتسيّرها والمتمثلة في تنمية وتطوير مكونات المجتمع المدني من نقابات مهنية وجمعيات محلية ونواد أهلية وما في حكمها. ومع ذلك تبقى الأولوية في اعتقادي لعصب الحياة، أعني الإصلاحات الاقتصادية والمالية والتي أصبحت لا تقبل التأخير، خصوصا وأن عوائد النفط التي أنعم الله بها على هذه البلاد سارعت في تهيئة الظروف والأسباب لمثل هذه الإصلاحات.

أعان الله الملك عبد الله، فهو بين معسكرين، معسكر يستعجل التغيير ويلح عليه، ومعسكر يخاف منه ولا يريده. وعيون العالم الخارجي مسلطة علينا. فالمأمول من الجميع أن يقفوا معه ويعاضدوه ويثقوا في حكمته وسداد رأيه. فهو رجل محنك نافذ البصيرة، ولا أحد منا يحرص ويسهر على مستقبل هذا البلد ومصلحته وأمنه واستقراره ورخائه مثل حرصه وسهره. إنه رجل المرحلة وهو لها وابن بجدتها، لكنه لوحده ومن دون وقفتنا جميعنا معه ستكون مهمته صعبة وطريقه طويلا. ما يريده منا الملك عبد الله هو أن نسمعه أصواتنا ترتفع لتبارك برنامجه الإصلاحي وتؤيد خطواته التحديثية. ومما يثلج الصدر ويبعث الأمل والثقة في النفس أن كل من تحدثت إليهم واجتمعت بهم من طبقة الإنتلجينسيا والتكنوقراط ورجال الأعمال متفائلون بالملك عبد الله ومتعاهدون على الوقوف معه وتسهيل مهمته كل في مجاله وبالقدر الذي يسمح به موقعه، والكل يقدر مبادراته ويرى فيه قائدا موفقا لعمل الخير وقبطانا ماهرا سوف يقود هذه السفينة إلى بر الأمان وجزيرة الأحلام، أحلام الأمن والرخاء والتطور والنهضة الشاملة.